

بشر فارس



مغزق الطريق

إلى سيدى الدكتور عبد الرزاق بن السهرى

ذات حجة إلى أوبة

م. م.

الطبعة ١٩٣٦

قد رسمت الغلاف الفنانة الفرنسية SUZANNE JOFFROY في باريس
وخط المناوين والقزايوق الرسام حسن مكاوي قهلاً عن تصميم وضعه المؤلف
وأعان المؤلف على إخراج الكتاب في شكله الفني الأستاذ محمد زكي خليل
وأجهزت مطبعة المعارف الطبع . وكان الفراغ منه في مصر
لشهر خلون من شهر مارس سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف
وبلغ عدد نسخ هذه الطبعة ستمائة وخمسين
منها ثلاثمائة وخمسون على ورق *Croxley Super Brochure*
خمسون مرقومة من ١ إلى ٥٠ ليست للبيع
وثلاثمائة مرقومة من ٥١ إلى ٣٥٠
ثم ثلاثمائة على ورق *Croxley*
Antique Laid مرقومة من
٣٥١ إلى ٦٥٠ . ورقم
كل نسخة في
آخرها



بشرفا رس

مغزق // الطریق

سرچیتہ فیضی / احد

للمؤلّف

(بالجنة المريّنة)

« المرض عند عرب الجاهليّة » ، بحث في علم الاجتماع .

رسالة لسمانة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (السوربون) . باريس ١٩٣٢ .

« المشكلات التي تفرّض لكتّاب العربيّ الحديث من جانب اللغة والثقافة والاجتماع . . . »

(محاضرة أقيمت في معهد الدراسات الإسلامية لجامعة باريس .) باريس ١٩٣٦ .

« مباحث »

نشرت في ذيل « دائرة المعارف الإسلامية » المصادرة في كَينُوت (هولانده) .
وقد حلت هذه المباحث إلى اللغتين الإنجليزِيّة والألمانيّة وظهرت بهما في السّفر نفسه .

تحت الطبع (في رومه) :

« مكارم الأخلاق » ، عبارة أخاذة ترجع إلى الأخلاقيّات التقليديّة .

(محاضرة أقيمت في مؤتمر المستشرقين للتقدي في رومه ، سبتمبر ١٩٣٥ .)

(بالجنة المريّنة)

« قطعة لحم »

(قصة فازت بجائزة مجلة « الهلال » في « مباراة القصة المصرية » ونشرت فيها ، أغسطس ١٩٣٤ .

ثم نقلها Herbert Melzig إلى اللغة الألمانية ونشرت في صحيفة « فِرَنكفُورْتَر تَسِيْتُنْج »

في ١٧ سبتمبر ١٩٣٧ .)

سعدٌ طبع :

« مباحث عربيّة »

« رسائل في التقدي »

تقرئة

إنَّ وِجْهَةَ هذه المسرحيَّة ممَّا انساق له قلبي ورفَّت إليهِ نفسي بعد التحصيل والرويَّة والاجتهاد . فرأيتُ أن أصنع للمسرحيَّة مقدِّمة أبسط فيها الأسلوب الذي أجريْتُها عليه ، فضلاً عن قصائد نظمتُها قد وقف على مقاصدها من يدأب في قراءة « المقتطف » خاصَّةً ، لكي تكون ياناً لبعض ما نشرته حتى اليوم ثم بعض ما أنا ناشر بعده إن شاء ربُّك .



هذه قصة تمثيليَّة على الطريقة الرميَّة — إذا شئت . وليست الرميَّة ههنا بموقوفة على الرمز بشيء إلى شيء آخر . ولكنَّها — فوق هذا — استنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمَّر وتدوين اللوامع والبوادر ، بإهمال العالم المتناسق المتواضع عليه المختلق اختلاقاً بكَّد أذهاننا ، طلباً للعالم الحقيقي الذي نضطرب فيه رضىنا أو لم

نرض: تدهشنا ظواهره وتروعنا بواطنه وتمجزنا مبادئه — عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجلاد المتأهب للتحرك إلى ما يحيرى بينها من العلاقات الغريبة والإضافات التائهة في منطقات الروح ومثاقى المادّة، يشترك في كشفها الإحساس الدفين والإدراك الصّرف والتخيّل المنسرح:

كلّنا يطوى في المكان القصي من سريره شيئاً لا بدّ له من أن يُقال — شيئاً أجنبياً عما يتّصل بالألوف أو المنتظم أو الاجتماعيّ. صاحبه يكتمه حتى من نفسه وربما جهله، على أنه يتكلم ويحرك وهذا الشيء شاغله بحيث تُغشى طائفة مُعَيّنة من أقواله وأفعاله مجموعة رموز، لا رموزُ آرائه تنكشف مصادرها وتطرّد مجاريها ولكن رموز نزعات مُبهمة وبمكانيات ضائعة ومتمنّعات مُتمثّلة ومقابلات إنمّا تُرتقب عواصفها في الساعة التي يهيم فيها الظلام أن يفرش فيتصوّر المرتقب هزير الریح وصفق الموج — ثم إنّ مثل هذا الشيء لا يُفصّل ولا يعلّل ولكنه يُعرض خطفًا. فكانّ المُنشئ يتوجّس كيف تجاوب نفسه جرّس الأشياء الخارجيّة من دون أن يتحمّل ترتيبها ولا تأويلها، فيمدل عن البسط والتبيين إلى إثبات البرق الذي التوى في السحاب ففزا الظلمة لحظةً، كأنّما البرق آية وحى.

وبعيد أن يكون الرمز لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك من ضروب المجاز، للذهن في وضعا ثم قبولها الحظّ الأعلى. بل هو صورة أو مُثُل يرب صورت جزئية ينتزعها المُنشئ من المبذول كما تُنتزع الأشكال من هيئات الموجودات على مرّقم رسام موفور الحواس، مشنول الخيالة، مُحَدّث القلب، يمدّ اللعوس مُبْتَنَى الانطلاق إلى عالم أُنثُل، إلى عالم روحاني يوفّق بين الواقع والموهوم. فيجعل ذاته

الفنّانة تمكس على اللوح الموضوع المرئي بفضل عينيّن دُرِّبَتَا على لمح مشاهداته الباطنة . فيمزجُ الرُّسْمَ لوائحَ الرّسام بالخارجيّات ، فتنسجم سرّاً : كأنَّ الخطوطَ الأثقيّةَ أنسَاطَ نفسه ، والخطوطُ المَودِيّةُ أنبعاثها ، والدوائرُ انطواؤها ، والمنحنيات انقباضها ، وكأنَّ الضياءَ من صُحُوها ، والظلالَ بعضُ مشكلاتها ، وكأنَّ الوجوهَ الوضاحَةَ أشواظها ، والمناظرَ المُغَيَّرَةَ من غمومها : الوجدانيّ يُحِلُّ في المادّي ، حتى إنّ الأشكالَ ربّما تبدو ناقصةً أو مُتخلّةً أو ماثلةً تتردّد عند حدود العقول لمن لم يكن موطّأً الفهم لها ، مُرَهَفَ البصيرة .

وذلك بأنَّ هذا الرّسام لا يكاد يُحِلُّ بالمنطق ، لأنَّ المنطق اصطلاحُ آتائه العقل ، والعقل إنّا يُحرِّدُ الأشياءَ أو يُشدِّبُها ثم يُنقل بعضها أو يجهل بعضها . فالتوضيح الذي ينتهي إليه أقرب إلى الاختراع منه إلى التحقيق . والعرافان الجُدُّ شعورٌ بالحقيقة لا العلم بها . وبين العقل والشعور ما بين الحصبة الصّخرة والروض الرّفاف .

وإن قيل إنّ المنطق هو القانون بل المِيار بل ضابط التناسب ، وإن قيل إنّ المنطق كمثل الزخرفة المريّة في أبعادها ومسافاتها ومقاديرها فما لا يرتقي الشك إليه أنّ المنطق ينشأ عنه تدييرٌ ممقولٌ إنّنا يُموّزه لهب الحياة : أنظر إلى صورة اتّفق أهل الدراية على أنّها خطأة للمين تُصَبُّ في جوانبها شيئاً يترجّح — شيئاً يقول لك : « بنى وبين بصرك صلة ، صلة اليقظة والإحساس بالوجود » . ثم انظر إلى رسم لا يخرج عن خطوطٍ هندسيّةٍ غاية في الدقّة أفلا تقبض صدرك البرودة المناسبة فيه ؟ هذا الرسم الذي دبره العقل من باب الحساب لا يعرف السبيل إلى تفسك ، لأنَّ النفس على فطرتها تهوى كل ما يرجع إلى الطيبة الصادقة ، والطبيعة تجهل الإحكام

في التخطيط والجمود في التعبير : « الطيعة » - على قول المصورين التأثرين
- les Impressionnistes - لون ، تخاطبنا من طريق اهتزازة الضوئية مخاطبة
منقطعة ومتقلبة .

ومثلُ المنشئِ إذن مثلُ راقصة تحرف عن قواعد الرقص المضبوط فيه المتأتم
اعتياداً لا اندفاعاً ، فتأبى أن تخطأ أشكالاً محصورة في نظام سرمان ما يهتدى إليه ،
بأن تحلل النغمات وتقطع الموازين لكي تردّها في الفضاء وخدة متماسكة حتى التشنج ،
واضحة وضوحاً يفرق البصر له . وإنما تكتني بالتلوي والتوتر ، والتوازن والتقبض
عن انفعالات إحساسها الموسيقي : السماع ينقلب حركة ! فتراها تنقل قدميها
على الأرض خفيفتين تهبّان لقفزة هل تعود بعدها ؟ وتسلط ذراعيها على الخلاء الذي
حولها تعرف منه طرائف تهبّها لمن تلحظه عينها دون أعينا ، وعمد أصابعها وتزويها
كأنها تحث وتزجر قلوباً تطوف بها ، ثم تهصر الحصر وتطلق العطف وتنفض
التي وتثني الرأس كأنها تنادي ربّاً لا يلتفت إلى عياده حتى تتأوه أجسامهم فتريد
أن تنهدم . فإذا بها ترقص حبّاً يحفيق قلبها وينبض عرقها إذعانا لإشراق الساعة
وانقياداً لمواجسها : فتخلص الفرزة من الكبت وتنصر الاضطراب النفساني من
الاختلاج المضوي ، فتدّ الرقص وثبة حرة ، وثبة النفس اللطيفة نحو العبطة المضنية .

ولا يستخلص من هذا أنّ الإنسان يصبح ضرباً من الهذيان أو أنّه يستحيل
مجموعة رؤى شوارد وبدوات نوادر . فإنما المنشئ يعرض عن المراسم الجامدة إرادة
أن يجعل الكتابة لحناً ينلّب فيه الارتجال المثلّم على الصناعة الموقوفة : إذ يجنب
فيه التّم الحادى الملق كالسيف الصّدي فوق المقاطع واللوازم والقواصل ، ويهدف

الاتِّعَالَ التَّوَارِثَ تَارَةً اسْتَدِيرَ أُخْرَى مِنَ الْقَرَارِ حَتَّى الْجَوَابِ نَمَ مِنَ الْجَوَابِ حَتَّى الْقَرَارِ فِي عَجْرَى مَسَاوَى النُّسَبِ مَتَّعَمِ التَّقَاطِيعِ ، وَيَنْبِذُ تَدْرِيجَ الصَّوْتِ مِنَ الشَّدَّةِ إِلَى اللَّيْنِ أَوْ مِنَ اللَّيْنِ إِلَى الشَّدَّةِ ، وَيُهْمِلُ تَوَلُّطَةَ الْخُرُوجِ مِنْ طَبَقَةٍ إِلَى طَبَقَةٍ ، وَيَتَرَكُ تَحْلِيلَةَ الْقَفْلَةِ . لِيُنْهَضَ التَّأْلِيفُ عَلَى خَطِّ هَشٍّ مُتَكَسِّرٍ ، يَنْحَنِي وَيُسْتَقِيمُ مَعَ مَوْضُوعِ الْلَحْنِ ، يُهْمِلُ وَيَنْدَفِعُ بِهِ ، كَأَنَّمَا الْلَحْنُ حَدِيثٌ يَتَجَاذِبُهُ قِتْنَةُ أَنْسَ بِمَعْضَمِهِ إِلَى بَعْضٍ ، فَيَنْقَطِعُ وَيُتَّصِلُ وَيَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَيَصْدُ وَيَخْفَضُ . وَإِنَّمَا الَّذِي يَحْدُو الْلَحْنَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَدَّاتِ وَالْهَمْزَاتِ وَالْمَهْمَزَاتِ ثُلَاثَةً مَرَّةً وَتُفَاوِرُهُ مَرَّةً ، طَائِفَةٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمُفْرَكَةِ بَيْنَ حَادَّةٍ وَثَقِيلَةٍ ، وَمُفْخِجَةٍ وَمُرْجَمَةٍ ، وَمِنَ الثَّقَلَاتِ الْمُنْفَصِلَةِ بَيْنَ مَقْلَقَةٍ وَمَضْغُوطَةٍ ، وَمَقِيمَةٍ وَطَافِرَةٍ ، كَأَنَّهَا مِنْ فَضْلَاتِ الْلَحْنِ تَحْكِي تَقَاصِيلَ مَوْضُوعِهِ وَتُرَاسِلَ تَمَارِيحِهِ قَتَسَاوِقَ أَنْفَاسِهِ حَتَّى يَنْقُضَى .

يَقِيَّ أَنَّ هَذَا الْإِنْشَاءَ الَّذِي يَمَاجُ مَا لَى الْمَادَّةَ لِلْمُبَاشَرَةِ لِاصِلَةٍ لَهُ بِأَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ التَّأْلِيفِ : مِنْهَا الْخُطَابَةُ الَّتِي تَأْكُلُ أَذْبَنًا شَعْرَهُ وَتُزِيلُهُ مِنْذُ نَشَأَتِهِ ، لِأَنَّ الْخُطَابَةَ حِيلَةٌ ثُمَّ كَذِبٌ : فَإِنَّمَا أَنْ تَسْتَرِ بِمُفْرَدَاتِهَا الضَّخْمَةَ وَجُمْلَهَا الْوَارِمَةَ بِضَاعَةً ضَاوِيَةً ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرَوِّقَ مَا يَكَادُ يَكُونُ مُدْرَكًا وَتَبَالِغَ فِي التَّصْيِيرِ عَمَّا يَكَادُ يَكُونُ مُحَسَّنًا — وَمِنْهَا التَّحْلِيلُ لِلْمُطَرَّدِ اطْرَادًا الَّذِي يُفْصِّلُ الْآرَاءَ وَالْمَبُولَ وَيَشْدُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ قَبْدُو بَسِيطَةٍ مَعْقُولَةٍ مُتَلَحِّقَةٍ لِأَنَّ مَبَاعِثَهَا لَا تَزَالُ طَلَى الضَّمَائِرِ — وَمِنْهَا التَّأْيِيرُ الْقَرِيبُ الْغُورِ الَّذِي يَهْزُ أَعْصَابَكَ دُونَ أَنْ يَحْمِلَكَ تَتَقَرَّى الْمَوَاطِفَ الْبَعِيدَةَ أَوْ تَحْمِسَ الرِّعْدَاتِ الدَّقِيقَةَ ، بِالْتِمَاسِ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُنِيفَةِ السَّهْلَةِ فِي آتٍ نَحْوِ مُقَابَلَةِ الْحُبِّ بِالْوَاجِبِ — وَمِنْهَا الْوَصْفُ الْوَاقِعِيُّ الَّذِي يَقْعَدُ عَنِ الْخُلُوصِ إِلَى مَا وَرَاءَ النُّظُورَاتِ :

من خواطرَ وواردات لا تبرز لمشهد الحسّ — ومنها التلقيق الأدبيّ الذي يستلّ الأشخاص من العالم الإنسانيّ ، فتارةً يعلمهم فتحصّيم آلهة وأخرى يهبطهم فتحصّيم شياطين — ثم منها الإبداع الفتيّ ، لأنّ بلوغ التمام المتناهي في الصناعة نتيجة الحذق لا نتيجة الشعور ، وإنّا نتيجة الشعور تطلّع قلق إلى تمام لا يتناهي .



وبعدُ فإنّ أشخاص هذه المسرحية دُمى تحرّكهم عواطفهم الدفينة ، كما أنّ الناس آلات في قبضة الحياة الجائشة ، إذا هم استبسّلوا فنزلوا إلى ساحتها . وقلّما يفعلون .

وكما أنّ الحياة الجائشة تُحجّر العقل النرّ فتختلط عليه شؤونها اختلاطاً شديداً حتى يُتاح له أن تدرب على خشوتها ويستأنس بدقائقها من طريق التألم والتأمل والتفهّم فيقدّر أن يطوّح بصره إلى الحوادث التي وقعت له حياته فتتنسيق فصولها كلّها أو بعضها بين يديه ، كذلك يحسن بمن يقف على هذه المسرحيّة — المُهمّة معاليها أوّل الأمر — أن تدبّر نواحيها من بعد الوقوف عليها ، مستضيئاً باللاحق ليُبصر السابق .

والذي يزيد في إيهام معالم هذه المسرحيّة أنّها تجمع في ألفاظ معدودة طائفة من الآراء والتأثرات صبّها الزمان في قوالبها . وكلّ شيء لاحق بما لم الفكر طال عهد نشأته واستوائه لا يتقاد للذهن دفعةً ، بل على الدهن أن يتأقّل له يستشفّه — وفي

ذلك من اللذة ما فيه . وعندي أنه قد حان الزمن الذي فيه أصبح الإيجاز والإيحاء في الإنشاء الرفيع أحبَّ إلى القارئ العربي المَهْذَّب من التطويل والتذليل ، حتى إذا رجع القارئ عن الحسن الظاهر إلى الحسن الباطن تجلَّى له ما وراء السطور . فُتَدْرِكُ بذلك غايةُ الأدبِ العالي ، ومدارها أن يجعل المُنشئُ القارئَ يُشاطرهُ فنَّه .

وأما لغة المسرحيّة فقد أَرَدْتُهَا سهلة ، لأنَّه من العَسَف أن يُعْرِبَ المؤلِّفُ أو يتكلَّف الصياغة ابتغاءَ التهويل ، ولا سيما إذا أُلِّفَ للمسرح ، ذلك أن المسرح إنما هو منقل ألوان الحياة . والحياة الحقُّ طفل يلهو وما يدري أنه لاهٍ ، وزهرة تصوع وتمجَّب لمن يستروح شذاها ، ونهر يهدر ولا يطرب لترنيمه . وليس في هذه التماير كلها تصنع ولا استكراه . ثم إن الذي أميل إليه أنه كلما بَمَدَّ غور التفكير فشطَّت المعاني ونزع الأسلوب إلى الإيهام والتلويح بحيث ينسبط على الكلام ظلُّ لطيف ، جَدَرَ الأداء بأن يلتزم السلاسة والوضوح . على أن تُنَزَّه الكتابة عن المُبْتَدَلات ، عن تلك التراكيب المطروقة المطروقة حتى صارت وساوسَ يَنْصَبُها الأدب اليابس في وجه استقلال القلم ، فمنع الإنشاء أن يدلَّ على صاحبه دلالة حافلة ، ثم على أن يُتَخَيَّرَ اللفظ مُحَاذَرَةً أن يزوغ مدلوله عن المعنى المقصود قهْرُ الفكرة ، وأن تُهْدَبَ العبارة ثلثا تسقط إلى الركافة فيسمجُ الأدب .

القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٧

ح ح

المنتخب من المسند المصنف

ب: ف

تيسين

الشرح

في مفرق الطريق أى حيث ينفرج عييناً ثمناً وصاعداً ، ويساراً مظلماً ومنحدراً ، يبنى القل والشعور ، فيباجذان للره ولكل منهما حظه من القوة والنبوة . وأما الجانب المظلم فبث بهر الشعور القل فينحدر للره وقد صمى رشده الى غاية تحترق عندها النفس . وأما الجانب للنار فبث يصرع القل الشعور فيسلك للره في صمود مثلوجة يحيا عندها بنجوة من الاحتراق ، يحيا ككل شجرة شتف عودها وجف ورثها وذوى زهرها -- على ما هو مبعث في رسم النلاف .

الأشخاص

سميرة

نفس مضطربة تتنازعها حلالة الماضي الروع وراحة الحاضر القفر ، تلمس الى حياة يلجمها القل ، وتحببها حياة يتدلج فيها الشعور . فهي كاللوسوسة ، يبدو كلامها هنيئاً لأن رأيها لا قرار له . وترأها كما لست الخفجة الفاحلة فزعت منها الى مثنتاتها للورقة . وإذا اغضت هذه أوت الى التلف المنوى لإرادة أن تحبس حركات نفس رغبية في الاحتراق .

الأبله

لا يقوى على الكلام ، ولكنه يفهم كل شيء . ولا ينكشف أمره حتى ينخلع قلبه ، كظلم راض بما قسم له يحبه الناس سادراً ، قاعد الإحساس فيستخفون به ، حتى إذا بنى الجرح الذي يضرب في جنبه فار فافرض فأصاب الظلم منه رشاش يرد الى الواقع . فبكاء الأبله في غنم هذه القصة ذلك البكاء الذي نزع الفطاء عن عيني سميرة فتصفا أن تبث على يد مفرها الى الشعور -- صرخة مظلوم يعرف أنه من أجلها مقتول .

هو

عنوان الإنسان المادى ، المُتَسَّ في حقه للواضحات الاجتماعية (وما أكثرها في الشرق العربي عامة ومصر خاصة !) ، الملقى على البقي ، الرقيق لساعته ، المأجور عن إدراك المأني المجردة حتى يؤخذ بيده فيقاد اليها يصصره جلالة ، ثم يود لو يعيش في ظلها دون أن يبذل نفسه بذلاً في سبيلها كأنه يخضع بالوقوف يباب هيكلها لمله يتلفر يمس ما فاته من الذلة المألعة ، فتؤزقه الفرصة لتبدل الأحوال التي كانت تكتفه .

المسرح

مؤخره

صف من المنازل المنخفضة على شكل المنازل التي تُصاب الآن في الأحياء القديمة
في مصر . من نافذة من نوافذ أحد المنازل الواقعة في الجانب الأيمن
من المسرح يخرج نور . نور مصباح « جاز »
كبير . المصباح لا يرى وإذا أُريد إظهاره
فليكن معلقاً بالحائط بمسار
ضخم مقوف .
مقدمه
طريق ضيق .
على الأرض جزازات ورق
وبقايا من قصب السكر . يمتد إلى جانبي
المسرح يميناً ويساراً . الجانب الأيمن منه يضيئه النور
الخارج من النافذة إضافة ضئيلة . وأما الجانب الأيسر فبين المظلم
والنار ، وتشتد الظلمة في أوله من اليسار . والطريق ينحدر من الجانب الأيمن النار
إلى الجانب الأيسر المظلم . ثم إنه غير مستقيم بحيث يلتقي جانباه وسط المسرح زاوية متفرجة .



الأشخاص

صغيرة

امرأة في السابعة والعشرين أو ثلثيها . نحيفة ، وشيقة ، حنة الشكل . بشرتها ضاربة إلى الصفرة . شعرها أسود متدلٍ بمض الشئ حتى كنفها . ترتدى « فستانًا » نظيفًا عاديًا أسود لا يخلو من أناقة بسيطة ، كالتي ترتديه فتيات من العامة في مصر لهدنا هذا ، مشدودًا إلى ما فوق خصرها ، ليس بالواسع بحيث يشف عن رشاقة جسدها ، مرتفعًا إلى أسفل العنق ، ساقطًا إلى القدمين حتى الحذاء وإلى الكوعين حتى المصمين . فلا يرى من الفتاة سوى وجهها السافر وكفئها . الحذاء أسود . والمطلوب أن تشتد المفاصلة بين سواد اللبس وصفرة الوجه واليدين .

الأبلة

فتى لا عمر له . مستحكم البنية . منقوش الشعر . يرتدى « جلبية بلدى » (جلبابًا مصريًا) صفراء . حذاءه أسود عتيق جدًا . تبدو على هيئة القذارة .

هو

شاب في الثلاثين أو ياربها . جميل النظر . على رأسه طربوش [هنا غير واجب] . يرتدى « بدلة » لونها زاهر . وفي عروة في أعلى « البدلة » وردة . حذاءه أبيض . بشرته سمراء بل شديدة السمرة .



المشهد الأول

الأبله ، سميرة

الأبله جالس في الجانب للنار على الأرض ، على حربة من
جدار منزل ، بين يديه رزمة قصب سكر . يشتر
قصبة بأضراسه ثم يدفع « علفه » القصبة (الأنبوية)
إلى المرأة فتصنع منها شبتا وتعيدا إلى بيآن عليها
مصاً . من آن إلى آن يمشك قصبة خفيفة لاسي لها .
سميرة تحي . وتذهب أمامه في هدوء . ويظن . تنظر
إليه أحياناً في ذمور .
يشتر هذا التمثيل الصامت زهاء دقيقتين .

ويبدأ الأبله يكسر « علفه » من عود قصب على ركبته
إذ يشد العود إليه بقوة كأن أحداً يريد خطفه من
خلف ، وفك في أثناء مرور سميرة أمامه بحيث تراه .

سميرة

ما بك ! أريد أحد خطف قصبك ؟

الأبله

يومي . أن نعم

سميرة

معاذ الله ! ومن هذا ؟

الأبله

يماكي صوت الكلب وهو لا يزال
ناهباً على عود القصب بحرس

صغيرة

كلب ؟ ومتى كانت الكلاب تنصّ القصب ؟

الأبله

يضحك

صغيرة

كفى ضحكاً ! كم أشتى أن أراك تبكي يوماً ، فُبكي . [مهة] أمكن هذا ؟
[تنظر إليه] .

الأبله

يتأملها في جد

صغيرة

أمكن هذا ؟ ولِمَ لا ؟ فهذه الكلاب أصبحت تنصّ القصب .

الأبله

يلرق

صغيرة

أكلب هو ؟

الأبله

يرى أن نم

صغيرة

لا . إن هذا لا يمكن حصوله . . . كما أن بكانك لن يكون . [صت] المستحيلات
في هذا العالم معروقة [تحدّث إليه] .

الأبله

يرفع يصرعائه اليها ورأس القصبه
بين أذراسه وهذه لا تتحرك

سميرة تخاطب عسبا

ولربما أحيينا أن يكون الأمرُ المستحيل ... 'ممكننا' . [مبهمة] ماذا أقول ؟
لا . لا . لا ... ولو أن الكلاب أصرّت على امتصاص القصب لقتلتها جميعا ، جميعا .
[تخاطب الأبله] أأسمعني ؟ [آمرة] إضحك !

الأبله

يضحك ضحكة فيها تكلف وشبه رنين أسي



المشهد الثاني

الأبله ، سميرة ، هو

« هو » يقدم من الجانب الأيسر في تباطؤ شديد فينصرف إلى أول منزل من هذا الجانب . يحاول أن يقرأ اسم الطريق عليه . الأبله ينظر إليه شزراً . سميرة ترمقه في غير عناية . يقول « هو » وسط الطريق حيث المكان بين المظلم والنار وحيث المرأة والقة . البعد ينسه وبين المرأة مقدار « مترين » بحيث يغمسه الظلام فوق ما يعمس للمرأة . يلزم الأبله نظره طوال الحديث الذي يجرى بين « هو » وسميرة مبهلاً انتعاس القصب . يبر عن افعالاته في صمت .

هو لسميرة

من فضلك يا سِتْ : هل هذا زقاق سي عبود ؟ إني — والظلمة على هذه الشدة — لا أستطيع قراءة الاسم المكتوب على جدار هذا المنزل [يشير إلى المنزل الذي كان اصصرف إليه] إن كانت هناك كتابة .

سميرة

نعم ، هذا زقاق سي عبود .

هو

شكراً .

سميرة

هل لك أن تدينى كما أفدتك ؟

هو

يشير أن افعلى

سميرة

هل بلنك ، عُمرُك ، أن الكلاب تنصّ القصب ؟

هو

يؤخر وجلا كن ذعر من أمر

سميرة

سألتنى عن شئ أفلا يحقّ لى أن أسألك عن آخر ؟

هو

ولكنه سؤال ... سؤال ...

سميرة

فى لمجة من بنى شيئاً قائماً فى ذهن خصمه

لا غرابة فيه .

هو

يصيب صامتاً

سميرة

فى بلاء

كل شئ يبدو غريباً لك إنما هو جدّ مقول عند صاحبه . إن سؤالى يدهشك ، ولو جالت
أفكارى فى ذهنك وتجاوبت على نحو ما تجول فى ذهنى وتجاوب لزال دهشك . إن الأشياء
لا وجود لها إلّا بنا ، وكلّ واحد منا عالم قائم برأسه .

هو

هل لك أن تُجلى أفكارك في ذهنى وتقبلها تتجاوب لى أقوى على الرد ؟

سميرة في تيج

إسمع . إن هذا [نسير الى الأبله] لا يستطيع غير الضحك ، وإنى يضحك سعيدة . وإن عرف
يوماً ما البكاء شقيت به . [مهة] [في تحسر كآثها غامض قسها] ولكن أصادقة أنا ؟
[تم فكرتها بإشارة] وعندى أنه يستطيع البكاء إذا استطاعت الكلاب امتصاص القصب .

هو

إنى أوتر ألا يجول مثل هذه الأفكار في ذهنى وألا يتجاوب .

سميرة

لأنها أفكار مجانين . [مست] كلاً ، بل هى أفكار فتنة من الناس يشعرون فوق ما يشعرون .
والحق أتى لا أهم لم قدرة هذا الأبله على البكاء . مرتبطة بقدرة الكلاب على امتصاص القصب .
خاطر هجم على من جانب غامض .

هو ساخرا

صدقت .

سميرة

هما قل جميعاً فى يقين أن وقوع الأمر الثانى ينشأ عنه وقوع الأمر الأول .

هو

يقين مشكوك فيه .

سميرة

قلت : يقين .

هو

ولكن إذا بدا لكل واحد منا أن يستقل يقين له فإلى أين مصيرنا ؟ إلى الشك العام .

صبيحة

كلّا ! إلى الأمل . [مه] [في بطنه شديد] الحقيقة ، أليست ذلك الوادي الشّطّاف يُخَفِّلُهُ
فِيضُ مُشَاهِدَاتِي الْبَاطِلَةِ ؟

هو

أفَ لَهَذَا الْكَلَامِ الْمَقْدُ ! [يهيم بالانصراف من حيث جاء] .

صبيحة

تريدون الأمور واضحة [« هو » يلبث في مكانه] خوفاً على سلامة أذهانكم . أينبغي لكل أمر يحصل
أن ينساق إلى ناحية معلومة في ملتويات أنفاسكم تنتظروه ؟ [في سخرية] متاع يندرج في خزانة !
لا شيء أكره إلى الحياة من إطار يمدُّ لجراها ، إنَّ الروح والفكر مع ما يجيش فيهما من نزعات
ووثبات يُكرران السَّدَّ والحَدَّ . إنَّكم تَتَكُونُ بهما .

هو في ضجره ويشير في عنف

كفى !

صبيحة آمرة في لف

أَعِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ !

هو

لِمَ ؟

صبيحة آمرة

أَعِدْ .

هو في عيئه من الحثيئة

كفى . . .

صبيحة

لا . أعدّها بالنبرة نفسها وأرِدْهَا بِالْإِشَارَةِ عَيْنِهَا . . . أدنُ مني . . . لا تَتَعَفْ .

هو يذنو منها ويشير كالليرة الأولى

كفى !

سميرة بالثيرة نفسها والإشارة عنها

كفى !

هو كمن يخاطب سحوها

مساء الخير !

سميرة تهجم عليه وتعمك بقبابه وترسل طرفها في وجهه ثم في جسمه منتفضة

أين سميرة ؟

هو

من سميرة ؟

سميرة

هل عرفت سميرتين ؟

هو يتكسر رأسه ثم يرفعه ويحسق ال
وجه المرأة ويقول في لهجة اللدهوش

أنت ؟؟

سميرة

لا تحب ، وعيناها نكادان تتلانه

هو يواصل كلامه .

هنا ؟ وهكذا ؟

سميرة

الحب مرحلة إلى الفناء ! [مهة] أمر آخر غريب .

من الآن فصاعداً ينظر «هوه» الى سميرة وجلا ، زائع البصر ،
يخلع النفس . يترك يديه الحين بيد الحين في تبيج ،
ولكن التمرير ليس فيه ظو . وجهه الى الجمهور وسميرة
ظهرها الى الجمهور بحيث لا يرى منها الا الفتافات بينها
وكثيها . وأما الأبله فيظل طوال حديث المرأة مبهوتا
كالمتعيق على كره من حلم قد يذ والقصة في يده مائلة
ممدودة نحو فة . يشاهد ما يجري وهو يتألم في صمت .
كل ذلك حتى يُسمع صوت الثاى فتبدل هيئات
الأشخاص الثلاثة .

... وما غرابه ؟ جَرَتِ الحوادثُ لي كما يجب أن تجري . أحبيتك ؟ قائمتك على ما تمككه يدأى حتى آتى يوم قلتَ لي فيه : كفى ! وأشرتَ على نحو ما أشرتَ الآن [تبتد القطة بالبردة والإشارة برنين كأن القطة شيخ يلزم ذهنها] . . . فانطلقتُ عنك إلى حيث تنطلق المرأة التي تريد أن تُذلَّ الرجال لأنَّ واحداً منهم أذلَّها . [مهة] [في سرعة] وأتاني يوماً فيمن كان يأتيني من الرجال الذين كنتُ ألهو بهم شاب صوته منحوت من صوتك ، فطربت لحديثه وأنا لا أعلم السبب . وأردتُ أن اطرب فوق ما طربت [مهة] [في نهيج] أمتنع هذا ؟ [في بلاء] فصلته الكليات التي كنتُ تنطق بها وأنت مائل على . . . ظلَّ عريض مطروح على صورة ناصعة . وما كنتُ لأذكر أنَّها منك ، لأنَّ نسي كانت شربتها فطوتها أضلَّى ، ونشرتها شفتا قلبي . وإذا الشاب يوماً يلفظ تلك الكلمات في ذلك الصوت . . . ذلك الصوت ، وهو مائل على . . . فإذا بك تتمثلُ لي دَفْعَةً ، فكنتُ كالنار تُرفع من بيد لثائه المطمئن . . . أنت ، أنت الذي أشربنى تلك الكلمات ، أنت الذي قال لي . كفى ! بذلك الصوت [نثر على نحو ما كان أشار] أنت متفاد لي مرةً أخرى ، وتظفري . . . فَخَعَّتْهُ ! [« هو » يراجع ويرفع يده كأنه يرد شبحاً] [سميرة تواصل كلامها] إنَّ أمور القلب لا تنقضى إلَّا بالحق ! [مهة] منذ ذلك اليوم أشرقتُ نجلي ، إذ غاب الذي كان يحسُّ من نسي وانطلقاً الذي كان يشتمل . والآن أعيش في الثلج . . . إبعُدْ [تنفث ال الأبله وتصبح] إضحك !

الأبله

يضحك في تراخه

سميرة

هذه الضحكة هي التي تُلجِّي ، كلَّ يوم ، كلَّ لحظة . أراك دهشاً لأنَّ يبتنا بيته إحساس محض . . . إلَّا أنه إحساس لا يبلغ الاحترق . أمّا أنا فقد جُلبت من نارٍ فياً كل بمعنى بعضاً . [مهة] إلمّا أحياء ، والثلج من حولي ، طَيَّفَ شجره جرداء !

هو

ولكن ألا تهو نفسك إلى الفء أحياناً ؟

مغيرة في استرخاء

فطالبى قهفو ، غير أن الذى يُدفعنا الشمس ، وللة الشمس فى حرقها .

هو

بقليل من الثقّل تتجنّبين الحرقة .

مغيرة

الثقل جيل لمن يحسب أنه يحس . مثل لا بُدّ له من الاحتراق .

هو

إنك مسرقة .

مغيرة

كنت كذلك لما كنت إنسانة ، لما كنت أجثك ، أيام احتوت .

هو

كم أود أن أبذل لك الفء .

مغيرة

مثلك يحرق ولا يُدفى .

هو

علينى كيف أدفى .

مغيرة

فات الأوان . ما أعرف اليوم إلا كيف أحرّق ، أفلم أخرج على يدك ؟ ولیم
تريد العودة إلى ما كان ؟ هل اتعى إحساسك إلى أقصاه ؟ كلا ، بل ترانى أحاول النجاة

من أَرْضِكُمْ فَأَسْمِعُوا عَلَيْكُمْ ، فتقدم على تَيْبَتِكَ لى هذه القدرة . [فى شدة] إِبْصَدُ ! [مهلة] إِنَّمَا جِئَانِي فِى التَّلَجِ .

هو

يُنْكَ وَبَيْنَ التَّلَجِ لَا أُبْرَحُ قَائِمًا .

سميرة

يُنْفِ وَبَيْنَ الدَّفِ رَائِحَةُ حَرِيقِ .

هو

وَلَكِنْ .. قَلْبُكَ .

سميرة فى غير عنابة

قلبي ؟ [مهلة] لفظ طالما أداره لسانى حتى ضاع معناه .

هو

سميرة !

سميرة

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنِّى لَسْتُ أَنَا . هذا اسمِ قَفِّ .

هو

ولكن ...

سميرة

إِنَّكَ تَكْثُرُ الِاسْتِدْرَاكَ . أَلَا تَسْتَطِيعُ إِطْلَاقَ الْكَلَامِ ؟

هو

أَمَا نَعْرِفِينَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَقَيَّدٌ ؟ [صت] هل من شَيْءٍ يَبْطُلُ عَنْدهُ الِاسْتِدْرَاكُ ؟

سميرة بعد مهلة ، فى بطة خيل

إذا احترق ، [مهلة] [فى تلفظ] قلبى ! . .

هو في لمبة من لا يسلم يحصل أمر

لفظ ضاع معناه .

سميرة في لمبة من يقيم الحبة

ألا ترى البدوي يتأمل الصحراء ليلاً ونهاره ، إذا سئل عن لون رمالها قلنم ؟

هو

قد عرفك امرأة لا تحمل كل هذا القدر من العلم . فمن أين أتاك ؟

سميرة في بطة

أما للحرق فيض ؟ [مهلة] [في تلفظ] قلبي ! . .

هو في لمبة المائر

لفظ ضاع معناه . . . ولكن هنالك ألفاظ لا تموت . هذه لفظة الله لا ينفك

الخلق يذكرونها ، أفلا يزال الله الله ؟

سميرة

كما أن القلب لا يزال على حروفه . [تنظر اليه تلهة البصر] .

هو يدنو منها ويمس اليها بفرها

الدفء ! الدفء !

سميرة

تحول نظرها عنه كأنها تخاف أن تلين لكلامه .
على أنها لا تصد عنه . تظهر أنها منجذبة

ذلك وم .

هو يفتنهما

لولا السراب آية قافله لا يتهكها طول الرحلة : ساعة اليأس - إذا وارت البئر

كنزها عن العين القلقة كأنها فتاة خفزة ، أو أمست كمجوز تشنّج جلدها

لا تبذل سوى الجفاف - يضحك السراب فتلو الممم .

سميرة

إني عرفت ذلك السراب ، بل شربت منه . وكان الماء أجاجاً على لثتي . وإنني أودّ
لو أرتشفه مرةً أخرى . آه ! حتى هذا يغوتني اليوم . [مهة] [في بطنه] الحبّ مُعتزك
قُتلاه الأوهام .

هو يدنو منها ، يفتحها

الشعورُ عكّاز المرأة .

سميرة تنظر إليه في حياج

وما هو للرجل ؟

هو

معراجه إذا أدرك جوهرة .

سميرة

ومنى أدركته ؟

هو

البيلة .

سميرة

شيء ، ثم بعد حين تمامه .

هو مدانها

من ذا يرى أن ليس للعنب نشوة من بعد فضجّه ؟

سميرة نافية

في ظنّي أن المرأة جُمِلت لتعيا بالحب ، وقد مثّ به . وهأنذا ذا كأنك تعيا به
عنى ... إن الأمور تتقلب أوضاعها على أيديكم ، لأنكم يُغزَعكم الخلوص إلى أسرارها .

هو

ما أغلظَ كلامك !

سميرة

ولم أنتِ بعد . [مهلة] أصبتِ امرأةً تأتلكِ راضيةً فرحةً ، فقلتُ مُتمة . وما كنتِ
لتعوى على النزول إلى مضطرب الحياة ، فحرفَ مَرَحًا ، فقولَ نِصمة . . . المرأة عندكم
زهرة تُتلع لأن إتيانكم لم يملنكم أنها تطف . وأنتِ لمن أن يملنَ وهنَ يَحْتَبِنكم
أبدًا . . . في عرفكم أن نساءكم يهين لكم أنفسهن . ما أسخَبكم ! إنهن يفرشنكم لكم . [مهلة]
أما أنا فقد أردتُ أن أشدَّ عنهن فوهبت لك نفسى حقًا . فرُحْتُ ضحيةً أذعاه جديد للراءة .

هنا يملو صوت ناي من النافذة اللارة . صوت خفت
يظل دقيقة . يثلث الأبله وسميرة و « هو » إلى
النافذة . الأبله ينظر شزراً ويطرح بالنسبة إلى
بيده أرضاً . سميرة تقم يديها إلى صدرها كالملبية .
« هو » ينظر كالأخوذ .

سميرة لـ « هو »

كم يشغلك الناي !

هو

إنه لجيلُ المذات !

سميرة كاشفاً في وجد ، شائخة إلى النافذة

إنها لضلوعى تنقص مصعداً في معارج الهواء الصافى . وكم يَلْتَمِ لي أن تقلت ضلوعى من بين
جوانبى ! هل تدرى ما الإفلات مما يلازمك على كَرِّه منك ! إن هذا الناي يُعينى على النجاة
من الأرض . ولذلك ألبث في هذا المكان ، تحت هذه النافذة . . . صاحبُ الناي ينفخ فيه كل
ليلة ، فأحبُّ أن أعيّره ضلوعى وهو لا يدرى . ولو درى لهشُم حُلَى . وما أشدَّ حاجتى إليه !
آه ، إني أحس الحين بعد الحين كأن ضلوعى تريد أن تفلق صدرى لمعشٍ فيه أعرفه وأهابه .

هو يشير نحو الأبله كأنه يقول :
ألا يُسكن هنا عطشك

وهنا ؟

سميرة

صَحَّحْكَ لَا يَقْوَى عَلَى تَسْكِينِ ذَاكَ الْعَطَشِ ، وَلَا سَيًّا فِي اللَّيْلِ . برودة إلى برودة تهدأ
العزم ، عزم امرأة .

هو

وفيم كل هذا ؟

سميرة

أنت لا تفهمي وأنا أفهمك .

هو

يشير نحو الأبلة

وهل هذا يفهمك ؟

سميرة

إنَّ جِله بي من باب آخر .

هنا يملو صوت التاي ، فيتم الأبلة .

هو

ينظر الى سميرة ويشير نحو الأبلة

ماذا ؟

سميرة

كثيراً ما يَصْجُ إذا سمع التاي .

هو

أترى صوت التاي يَقيظُه ؟

سميرة

أظنُّه يُدرك أنَّ التاي يسعدني على عشرته ؟ سترى أنك مخطئ . [تلفت الى الأبلة تأمره]

إضحك !

الأبله

لا يضحك بل ينظر الى الأرض واجبا

سميرة التتيل عنه

إضحك!

الأبله

التتيل عنه

هو لسببه

لعلّه يهملك وأنتِ لا تفهينه .

سميرة

تظهر التجب والتفكر

هو يواصل فكره

علّتي اليوم أنّ الحياة مجموعة سوء قاتم .

سميرة في لحظة التكر ، تشير نحو الأبله

إلّا أنه خفيف العقل .

هو

كما أنكِ واهمة .

سميرة

كما أنكِ منور .

هو بعد مهلة قصيرة

ثلاث أحوال من منزلة واحدة .

هنا يلو صوت الناي مرة ثالثة ، ولكن نصف دقيقة فقط .

سميرة في أثناء ذلك ، لد هو ،

أسكت الآن !

هو بعد سكوت الناي

حقاً ! إنه لأخاذ .

سميرة

إنه لمطاة !

هو

يبدل لك النجاة .

سميرة

من الاختناق .

هو بعد مهلة

مسكينة !

معيده لا تحفل بهذا الرد ، بل تتطلع الى النافذة في شفت .
وأما الأبله فيرمقها منظرًا .



المشهد الثالث

سميرة ، هو

« هو » يدنو من سميرة ويجعل كفه على كتفها ويجذبها بلطف
الى الطريق المظلم وهي متعذرة منقولة وعينها منصرفة
الى التافئة ووجهها يحول الى مؤخر المسرح لا الى
الجمهور . يرى الأبله هنا فينهض يتبها بحركات
واشارات ضالة . ويد أربع خطوات أو خمس يهود
أدراجيه ويتروى عن المسرح ناحية النيابات (الكوليس
los coulisses) . في هذه اللحظة يلو صوت الناي
غاية في الشجي .

سميرة

أهل .

يتفان . يظل صوت الناي دقيقة كاملة

هو بعد سكوت الناي

أصبحت لا حاجة لك فيه .

يهود الناي دقيقة أخرى كاملة الى مداته الشجية . تستمع
سميرة إليه كأنها تنفض .

دعنى أودعه . . . إنه قام مقام عكاز لى دهرآ . . . ولم ينحطم قط . وما يدرينى ؟
ربما عدتُ اليه . . . أفلا أثارته على وداد ؟ [ي بدء] لا تزال بنا حاجة إلى ما ملأ أيدينا نَمَا
لم نُوَسِّل [تَمِيل] بأننا نعو الثائفة كآنها تريد أن نسمع صوتا حقيقيا] .

في هذه اللحظة عينها لمُسمع من داخل النيابات بيتنا — حيث
الألمستور — نشيج وقيق يغاربمعات الناي المشجية .

سميرة

إسمعِ الناي ييكينى .

هو يرحف الأذن

لا . إنَّ هذا بكاء الأبله [مبة نصيره] عدوِّ الناي .

سميرة ترحف الأذن وتلوى رأسها تحديق الى داخل النيابات
من الشين وتبسط يدها كآنها تدفع شيئاً
مكروها . في هذه اللحظة يرسل الناي بعض
معات مهمة تقابه نشيج الأبله .

هو يراصل حديثه

عجبا ! إنَّ الناي يراصل الأبله في البكاء . [مبة نصيره] عدوِّان اتفقا .

سميرة

ألم تتفق نحن ؟

هو

جمعتا اللذة وجمعها الألم .



المشهد الرابع

الأبلة ، سميرة ، هو

تنفض سميرة كتفها من كف « هو » وتسرع نحو الأبلة ،
فتجذبه من يده في هيء من التفت حتى وسط
المرح ، ثم تمور بحيث تجمل ظهرها ناحية الجانب
الناظر وتظهر الأبلة ناحية الجانب للظلم على بعض
خطوات أملم « هو » .

سميرة للأبلة

أنتي ؟ ومن علمك البكاء ؟

الأبلة

بنظر إليها في تساؤل

سميرة للأبلة ، في شدة

إنّ الكلاب تمتصّ القصب إذن ؟ وقد فاتني قلها . [ثم له هو ، في لين] أحرقتُ وهو
يشلجني . [ثم للأبلة في تراخ] بكائك منع البحث ؟

يراجع الأبلة حتى يهرب من « هو » .

مسيحة والأب يتراجع

ها ! ها ! أنت مثلاً . تبكي وتضطحك . ولكن ضحكك أكثر من بكائك . فاذا كرت ، إذ كنت في بدء أمرك ، أن البكاء التالية أبداً . [ممة] [للأب « هو » ، وما وافقاً جنباً ال جنب] سيحلج بعض بعضاً منذ الآن . . . [في لحظة التائه] إذا قدوت . [تراجع حتى تكاد تلمس بالتيابات] .

[في هدوء تضطرب فيه مأساة، مشيرة الى الطريق التي هما فيه] خذنا هذا الطريق ... الذي لا نور فيه ... الذي يتحدث .



رقم هذه النسخة

مطبعة المعارف وكاتبها بمصر

quand les chemins divergent

pièce en 1 acte

par

Bishr Farès



acheté d'imprimer le 7 mars 1938
par l'imprimerie "al-Maaref"

Le Caire

Biblioteca Alexandrina



0415716